التطور الدلالي

للمصطلحات الإسلامية

دكتور

ذاكر آراس

مؤتمر
كلية
الدراسات
الإسلامية

مؤتمر
كلية
الدراسات
الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤتمر
كلية
الدراسات
الإسلامية

المقدمة: تمهيد البحث

الفصل التمهيدي: ضبط المفاهيم

الفصل الأول: أبعاد التطور الدلالي في المصطلحات الإسلامية، ومظاهره في المعاجم اللغوية

الفصل الثاني: سمات التطور الدلالي في المصطلحات الإسلامية

الخاتمــة: أهم النتائج والتوصيات

الملحــق: المصادر والمراجع

المقدمة: تمهيد البحث

تتجلى اللغة في تعبيرها عن آراء الذات الإنسانية في ظروف حياتها اليومية، وذلك لغايات التطور والنمو والتغيّر متأثرة بالعنصر الزماني؛ ولا شك في أن البيئة الاجتماعية ودافعية الناطقين باللغة الأم تحفز إحياء اللغة بقدر الاهتمام بها وتنحط بانحطاط مخاطبوها في مستوى الترقية والرفاه.

بات التطور الدلالي من المسائل الجوهرية في علم الدلالة، بمعية اهتمام اللغويين والمفسرين في القديم والحديث حيث وقفوا على ظاهرة التطور الدلالي من ناحية ابتكار المعاني الجديدة التي يعبّر بها عن المعاني الدلالية والاصطلاحية بعد ظهور الإسلام.

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي؛ إذ ركز الجانب الوصفي على التعريف بمفاهيم البحث وضبطها، وعرض مدى التطور الدلالي للمصطلحات الإسلامية وعلى رأسها الصلاة والزكاة والصوم والحج. ويهدف هذا الجانب من الدراسة الاطلاع على أبعاد التطور الدلالي في المصطلحات التي سبق ذكرها، وكذلك موقف كتب اللغة والمعاجم العربية

القديمة من عنصر التطور على أساس ترتيبها الزمني. أمّا الجانب التحليلي فقد استعان بالكشف عن سمات وأهداف من وراء هذه الحركة اللغوية التي استجدت معاني إسلامية ودلالات قرآنية وأغراض جمّة. وقد انتهى البحث إلى استنباط أهمّ النتائج والتوصيات التي وصل إليها الباحث من خلال دراسته لهذا الموضوع اللغوي.

الفصل التمهيدي: ضبط المفاهيم

التطور لغة واصطلاحاً:

يقال طَوْراً بَعْدَ طَوْر والتارة بعد تارة وهذا يعني تحويل الشيء إلى غيره، ولذا يقال "الناس أطوارٌ" أي على أصناف مختلفة وحالات شتّى.[1] أما المعنى الاصطلاحي: تغيير معاني الكلمات من حال إلى أخرى، انبثاقا من ظاهرة اللغة لأنها كائن حيّ وظاهرة متحركة إذ يطرأ عليها التطور والنمو للدوافع الاجتماعية والثقافية والدينية.[2]

المصطلحات:

تتوسع دائرة معنى الكلمة الذي وُضع عليه في أصل اللغة وتتجاوز كلمة أو مجموعة من الكلمات دلالتها الأولى المعجمية كي تعبّر عن مفاهيم خاصّة في الحقول المعيّنة، كما تساعد العوامل الاقتصادية والاجتماعية والدينية على حمل كلمة إلى معاني أخرى. وهذا ما أشار إليه الجرجاني بقوله: "الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول، وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى معنى آخر، لبيان المراد. وقيل الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين".[3] أما المصطلح الإسلامي فأطلق المقدمون عليه المعنى الشرعي، من خلال التمييز ما بين المعنى المعجمي والمعنى الإسلامي، وقد وقف ابن فارس على هذا الموضوع في كتابه الصاحبي وقال: "العرب كانت في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائهم وقرابينهمى. فلما جاء الله

---

[1] الخليل بن أحمد، العين، مادة (طور)

[2] محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص٣٢.

[3] الجرجاني، كتاب التعريفات، ص٤٤.

جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخرى، بزيادات زيدت وشرائع شرعت.."[1] والمصطلحات الإسلامية التي تركز عليها هذه الدراسة هي ألفاظ عربية استعملها الله في معاني لم يعرفها العرب قبل مجيء الإسلام.

الفصل الأول: أبعاد التطور الدلالي في المصطلحات الإسلامية

لابد من أن أطوار التغيّر في المجتمع تشمل اللغة والذات الإنسانية بوصفه عنصرًا حتميًا في الكون، حيث أن الإسلام جاء بمشروعه الخاص متضمنًا بالتراكيب والدلالات الجديدة التي أضفاها القرآن الكريم، وقد أشار إلى ذلك "الفراهيدي" أحد علماء اللغة وابن منظور والزبيدي، ومن المفسرين الطبري والرازي والقرطبي وغيرهم من الباحثين المعاصرين، لذل لا تعتبر عملية التطور الدلالي عملية حديثة بل عملية قديمة ولها شوط عريض في تاريخ اللغة العربية.

لم يظهر الإسلام إتفاقًا أو عشوائية، بل جاء بمبادئه وأوصافه وقواعده التي تعد جزء لا يتجزء عنه. حيث حدث تطوّر المعاني في كثير من المفاهيم بطلوع الإسلام، ومن ثمّ ولّدت الشريعة الإسلامية دلالات جديدة التي كانت لها معان أخرى في عهد الجاهلية، (نحو كلمات المؤمن والمسلم والكافر والمنافق). وأنَّ العرب إنَّما عرف المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق. ثُمَّ زادت الشريعة شرائطَ وأوصافًا بِهَا سُمِيَ المؤمن بالإطلاق مؤمنًا. وكذلك الإسلام والمسلم، إنّما عرف منه إسلام الشيء ثم جاء فِي الشَّرع من أوصافه ما جاء. وكذلك كانت لا تعرف من

[1] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص٤٤.

الكفر إلا الغطاء والستر.[1] وقد لوحظ ابتكار ابن فارس في تطوير الأسس اللغوية والدلالية في هذا المجال، وظهر عنده بعد النظر عندما يتطرق إليه في كتابه الصاحبي في باب الأسباب الإسلامية مختصرًا.[2]

منح القرآن العظيم الدلالات غير التي استعملها العرب من قبل، مثل مفردات الصلاة والزكاة والحج والصيام التي تعدّ من أركان الإسلام. وهذا قد يعدّ بداية التطور الدلالي فضلاً عن تركيب القرآن البديع ونظمه المعجز. فالنظر كيف كان التطور الدلالي لهذ المصطلحات الإسلامية الأربعة؟

مظاهر التطور الدلالي في المصطلحات الإسلامية في المعاجم اللغوية القديمة

أولا: الصلاة

إنّ كلمة (الصلاة) في اللغة العربية (الدعاء)، قال الأَعشى:

وصَهْباءَ طافَ يَهُودِيُّها ... وأَبْرَزَها، وَعَلَيْهَا خَتَم وقابَلَها الرِّيحُ فِي دَنِّها، ... وَصَلَّى عَلَى دَنِّها وارْتَسَمْ.

وقال: دعا لها أن لا تخمض ولا تُفسد.[3] وهذا المعنى اللغوي العام الذي ورد في القرآن المعنى المألوف أي الدعاء: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (التوربة، ١٠٣). وهذا يدل على أنّ القرآن لم يقض على المعنى المعروف للفظة الصلاة، بل حافظ عليها واستخدمها على وتيرة واحدة.

[1] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص٤٥.

[2] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص٤٤.

[3] ابن منظور، لسان العرب، (صلا)

وورد في الحديث النبوي: "وإن كان صائما فليصل".[1] أي فليدع لأهل الطعام بالبركة والمغفرة.[2]

وصَلِيَ الرَّجُلُ، كرَضِيَ: لَزِمَ، {كاصْطَلَى} قَالَ الزجَّاجُ: وَهَذَا هُوَ الأَصْلُ فِي الصَّلاةِ؛ وَمِنْه: مَنْ {يُصْلَى فِي النَّارِ، أَي يُلْزَمُ، سُمِّيَت بهَا لأنَّها لُزومُ مَا فَرضَ اللَّهُ تَعَالَى بهَا.[3] ويبدو أنّ قصد الزجاج في هذه الكلمة المعنى الشرعي تعني العبادة.

وتتخنزل الصلاة في فعل العبادة من أقوال وأوصاف وشرائط وأوقات وهي ركن مؤكد من أركان الإسلام وهي من العبادات الجوهرية التي عززتها الشريعة من ناحية الوجوب والتأكيد.[4] ولذا قال تعالى: {فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا} [النساء/ ١٠٣]. وباتت هذه الكلمة مصطلح إسلامي ذو دلالة دينية ولاسيما في اللغة العربية والقرآن الكريم والسنة المتطهرة. وكان يُستخدم المعنى العام لمصطلح الصلاة قبل الإسلام، بينما أسهم القرآن الكريم في تطوّره، وبدأ يُستخدم في المعنى الخاص الذي يتعلق بالنظم الدينية.[5]

أصاب تطوّر المعاني والدلالات المستجدّة معنى كلمة الصلاة وشمل ذلك الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم. وإنّ التطور الذي حدث في كلمة

---

[1] مسلم، صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب الأمر لإجابة الداعي إلى دعوة، حديث: (١٤٣١).

[2] العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج٤، ص٣٩.

[3] الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس(صلي)

[4] الاصفهاني، المفردات(صلا)

[5] مكرم، عبد العال سالم، المشترك اللفظي في الحقل القرآني، ص١٠.

الصلاة هو تطور يتقارب بين المعنيين؛ المعجمي والشرعي، بناء على هذا التقارب، تُسمّى العبادة بالصلاة انطلاقا من معنى الدعاء.[١]

ثانيا: الصوم

صوم: الصَّوْمُ: تَرْكُ الأكلِ وتَرْكُ الكلام، وقوله تعالى: {إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا} مريم٢٦. أي صَمتاً عن الكلام.[٢] وقُرِىءَ به. ورجالٌ صُيّامٌ، ولغة تميم صُيَّم، والصَّوْمُ قيامٌ بلا عَمَل. وصامَ الفَرَسُ على آريِّه: اذا لم يعتَلِفِ. وصامَتِ الرِّيحُ اذا رَكَدَت. وصامَتِ الشمسُ: استوَتْ في منتصف النهار.[٣]

وقد أُستخدم هذا المعنى المعجمي مجازاً كما قال الزبيدي:من المَجازِ: صَامَ عَن (السَّيْر) إِذا أَمْسَك، (و) قَالَ أَبُو عُبَيْدة: كل مُمْسِكٍ عَن طَعامٍ أَو كَلامٍ أَو سَيْر هُوَ صَائِم.[٤]

الصّوم: الْإِمْسَاك عَن المأكل وَالْمشْرَب. وكل شَيْء سكنت حركته فقد والصيام أصله عندهم الإمساكُ ويقول شاعرهم:

خَيلٌ صِيامٌ وأُخرى غير صائمة ... تَحْتَ العَجاج وخيلٌ تعلُكُ اللُّجُما[٥]

أما المعنى الشرعي فهو الإمساك من طلوع الفجر إلى غروب الشمس عن المفطرات حال العلم بكونه صائما مع اقتران النيّة.[٦] فأكسب القرآن المجيد بعض دلالات مستطرفة لهذه الكلمة التي لم يعهدها العرب قبل نزوله من دون أن يقضي على المعنى الأساسي الأول، بل مع المحافظة

---

[١] حنان منصور، التطور الدلالي للألفاظ في النصّ القرآني، ص٣٤.

[٢] الطبري، جامع البيان، ج٣، ص٤٠٩.

[٣] خليل، العين، باب صوم.

[٤] الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ص و م.

[٥] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص٤٦.

[٦] الرازي، مفاتيح الغيب، ج٥، ص٢٣٩.

عليه. وتغيرت دلالة هذه الكلمة التي كانت قبل نزول القرآن الكريم تطلق على حالة واحدة، وقد صارت تطلق على حالات جمة وعامة، وهي العبادة. وإنّ الصيام بمعناه الاصطلاحي الشرعي لم يُعرف في العهد الجاهلي بهذا المعنى، وفُرض الصيام على المسلمين بنزول القرآن الكريم ومن ثمّ بات مصطلحًا إسلاميًا مع هذا التطور الدلالي.[١]

ثالثا: الزكاة

إنّ الزكاة في اللغة من زكا الزرع يزكو، زكاءً وزُكُوّاً، ازداد ونما[٢]، وزَكاالرَّجُل زْكُو زكواً: إذ صَلُحَ، وقال ابنُ الأثيرِ: الزَّكاةُ فِي اللُّغَةِ الطَّهارةُ والنَّماءُ والبركةُ والمَدْحُ وكلُّ ذَلِك قد اسْتُعْمِل فِي القُرْآنِ والحدِيثِ.[٣] أماّ المعنى الشرعي الاصطلاحي هو فريضة على كل مسلم في عام حين بلغ النصاب، وهو الركن الثالث من أركان الإسلام.

ابتدع القرآن الكريم بطبيعة جديدة مصطلح إسلامي جديد لم يكن معروفًا في الجاهلية، وقد أصاب دلالته بتطور مختلف عن دلالته المعجمية إذ أن أغلب الآيات القرآنية التي تحدثت عن الزكاة نزلت على المعنى الشرعي. وكل هذا يشير إلى أنّ كلمة الزكاة في القرآن المجيد مصطلح إسلامي قرآني جديد مهيمن على المعنى الاصلي المعجمي.[٤] فإن الدلالة المعجمية

---

[١] أبوعودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، ص٢٢٠.

[٢] خليل، العين، (زكو)، ابن منظور، لسان العرب(زكا)، الزبيدي، تاج العروس (زكو)

[٣] الزبيدي، تاج العروس (زكو)

[٤] أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، ص٢١٢.

المعجمية للمفردة الواحدة لا تمثل إلا جانبًا واحدًا محدودًا من دلالتها، أي إنها تقتصر في العادة على ما تمثله المفردة في العالم الخارجي أو في حقل الخبرة العامة".[١]

رابعا: الحج

إنّ لكلمة الحج في اللغة عدة معان، منها؛ كثرة القَصْد إلى من يُعَظَّم،[٢]والغلبة بالحجة أثناء المناقشة، يُقَال: حَجَّهُ يَحُجُّه حَجًّا، إذا غَلَبَه على حُجَّتِه.[٣] كما ورد في الحديث النبوي المعنى نفسه:" احْتَجَّ آدَمُ مُوسَى"[٤]، أي غلبه بالحجة لحج الزيارة والإتيان، وإنما سمّي حاجًا بزيارة بيت الله تعالى؛ قال دكين: ظل يحج، وظللنا نحجبه، وظل يرمى بالحصى مبوبه[٥]، وانطلاقًا من هذه التعريفات يتبين أنّ الأصل في كلمة الحج هو التوجه أو القصد مطلاقًا، وجاء تخصيصه القصد إلى معظم، حيث عرف العرب هذا المعنى لأنهم كانوا يقدسون الكعبة ويطوفون حولها للأصنام والأوثام.[٦]

أصبح الحج مصطلح قرآني بمجيئ الإسلام، وقد بات ركنًا من أركانه محددًا المكان والزمان، مع ذلك أعطاه القرآن مفهومًا ودلالة جديدة التي

---

[١]أبو عودة، التطور الدلالي، ص٧٤.

[٢]خليل، العين(حج)

[٣]الزبيدي، تاجالعروس (حج)

[٤]البخاري، صحيح البخاري، حديث(٣٤٠٩)،بَابُ وَفَاةِ مُوسَى وَذِكْرِهِ بَعْدُ، ج٤، ص١٥٨.

[٥]ابن منظور، لسان العرب، (حج)

[٦]أبوعودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، ص٢٢٧-٢٢٨.

لم يسبقها في الجاهلية.[1] حيث أصبحت أكثر اتساع وحدث فيها ما حدث من الشروط والأوصاف وهلم جرا. مما سبق القول في أنّ العلاقة التي توجد بين المعنى المعجمي والاصطلاحي علاقة ظاهرة ووتيدة، ويشير القرآن المجيد بوظيفته في حفظ المعاني السابقة والتي تخص تلك المصطلحات إلى دراسة هذه المفاهيم بسياقها القديم وإلى الظروف التاريخية الاجتماعية التي نتجت فيها، كي يحفز الاطلاع على التراث ماقبل الإسلام، مقارنة ما بين العصر الجاهلي والإسلامي في الأحداث الاجتماعية ولا سيما في تطوير الأسس اللغوية والدلالية التي تطرأ على المعاني.

[1] أبوعودة، التطور الدلالي، ص١٣٢-٢٣٠.

الفصل الثاني: سمات التطور الدلالي في المصطلحات الإسلامية

أحدث التطور الدلالي في هذه المفاهيم تشكلاً لا يمكن أن يكون عشوائيًا، وإنما تأسس ضمن أسباب متعينة ولغايات ومصالح كثيرة يلجأ إليها المسلمون في الوقت الراهن، ولأن ناصية مسؤولية النمو والتطور ومنح المعاني الجديدة المقترنة بالمعاني اللغوية الأصيلة بيد القرآن الكريم لابد من طرح بعض الأهداف والمقاصد التي تخص التطور الدلالي وأهمها:

أولا: خلق اللغة الدينية الاصطلاحية (TERMİNOLOGİE)

إنّ كلمة (termen, terminus) في اللغة اللاتينية تدل على الحجر الذي وُضع ليميز حدود المنطقة ويفصلها عن غيرها، كما وتفيد نهاية المطاف أو الهدف.[1] ولهذا المفهوم كلمات متعددة في اللغة الأوروبية لكن كثيرًا من هذه الكلمات تشير إلى الوحدة المعجمية التي تدل على معنىً دقيقا في النظام المعين.[2]

يقول الشريف الجرجاني، في تعريف المصطلح أنه اتفاق يقوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول، ويخرج اللفظ من معنى لغوي إلى معنى آخر، لبيان المراد. وقيل الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين.[3] كما يظهر في تعريف الجرجاني أنّ المصطلح يجمع بين مخاطبيه، ويربط بينهم بالحبال الواثقة، وهي لغة الدين. حيث بدأ

---

[1] محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب للطباعة، ص٩-١٠.

[2] Pluri Dictionnaire Larousse, Dictionnaire Encyclopédique, Paris, Librairie Larousse, 17..

[3] الجرجاني، كتاب التعريفات، ص٤٤.

المسلمون بتفهم هذه اللغة الاصطلاحية من دون الحاجة إلى الترجمة والنقل. كما أطلق ابن فارس على كلمة المناقف اسم إسلامي أو معنى إسلامي.[1] وصارت هذه اللغة وسيلة للوحدة الإسلامية في أنحاء العالم كله. كما تتواجد دلالة الكلمة الرابعة (الصلاة والصوم والزكاة والحج) عند كل مسلمين من العرب والعجم، بسبب دخول هذه المفاهيم إلى لغتهم غير العربية من خلال إعتناقهم الدين الحنيف. ومن هنا يمكن الحديث عن تأثير اللغة الاصطلاحية العربية على اللغات الأجنبية وهيمنتها بها.

ابتكر القرآن الكريم المفاهيم والمصطلحات التي تعزز وجودها وحضورها ضمن منظومة الدين الإسلامي، بما أكسبها مدلولات متمثلة به؛ وبرزت بهذا تشكيل لغة الدين بين كافة المسلمين على الرغم من اختلاف لغاتهم وألوانهم وثقفاتهم. ولذا اشتهر القول عند العلماء في شأن عجز ترجمة المصطلحات الإسلامية إلى لغات غير عربية على اعتبار أن اللغات الأخرى تزيل بعض الأوصاف والمزايا التي تنصّ عليها هذه المفاهيم. ومن علماء العثمانيين شيخ الإسلام مصطفى صبري أشار إلى الصعوبات والتحديات في ترجمة معاني المصطلحات إذ إنّ كلها ليست بأسلوب واحد، وهذه المعاني هي التي تختصّ بلغة القرآن، ولا يصلح نقل معانيها إلى لغة أخرى مع الحفظ على تصورها الشرعي والدلالي. وإنّ ترجمة المفاهيم الخاصة بذات القرآن المجيد عند الشيخ صبري أمرٌ ليس من قبيل الضرورة، وترجمتها قد تؤدي إلى خطر عظيم عند عامّة الناس، لأنّهم لا يحسنون فهم هذه التعابير القرآنية. وقد حافظ الشيخ المترجم على ترك

[1] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص٤٥.

ترجمتها في ثروة القرآن الأدبيّة، بل يرى أن تعليم هذه المصطلحات الدينية في المدارس الإسلامية أمرٌ لا بد منه.[١]

ومن جهة أخرى أن تمثل اللغة الاصطلاحية أداة التواصل والتخابر بين أهل الاختصاص خدمة لمجالاتهم المعينة. وهذا ما أطلق عليه الدكتور يوسف وغليسي "الوظيفة التواصلية لأجل أن يكون المصطلح قناة للتواصل بين أهل الاختصاص". فالتعامل العام مع المصطلح كأي وحدة معجمية لا جدوى منه، بمعنى أن اللغة الاصطلاحية من شأنها أن تفقد فاعليتها التواصلية خارج سياق أهل ذلك الاختصاص.[٢] وتكمن أهميّة الحديث عن المصطلحات الإسلامية في هدف تحديد المعاني الشرعية التي وُضعت بوضع الشارع، لأن المصطلح وعاء المعنى الشرعي. ومن أهمّ وظائف المصطلحات الإسلامية أن تكون جسرًا تواصليًا بين أهل التخصّص، هو ادّخار المعاني والمفاهيم الكثيرة الضخمة في مصطلح واحد كالصلاة والصوم والحج. ولم يجنب الإسلام المسلمين في التعرف على التطور الدلالي الجديد الذي يخدم المسلمين في عصره، وهذا ما نشاهد اليوم في مجتمعنا الإسلامي.

فلإسلام بهذه الظاهرة الحقيقة أكمل نعمته على المسلمين وجعل لهم لغة إسلامية.[٣] ووحّد بين طبقات اجتماعية متنوّعة على مدى التاريخ، وأكّد سيطرته على إدراك المسلمين بهذه الحركة التطورية اللغوية خدمة

---

[١] مصطفى صبري، مسألة ترجمة القرآن، ص١٠.

[٢] إشكالية المصطلحفي الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ص٤٤.

[٣] أبوعودة، التطور الدلالي، ص٥٠.

لمصالحهم وتسهيلاً للتفاهم بينهم، وجعل كل الشعوب الإسلامية أمة واحدة. والمصطلح بكونه السائد والمسيطر على الثقافة الإسلامية في الماضي والمستقبل.

ثانيًا: التطور الأصلي الحصين

يختلف التطور الدلالي من ناحية ماهيته الكيفية عن شكل التطور الطبيعي الذي حدث في الزخيرة الإسلامية بمجيء القرآن العظيم، ولهذا تخصص مجال البحث في التطور الدلالي في ألفاظ القرآن الكريم. فنسخ القرآن مفاهيم سابقة التي تتعلق بمسألة المصطلحات الإسلامية، حالت أحوال، وأبطلت أمورٌ، ونُقلت من اللغة ألفاظ من مواضعها الأصلية إلى مواضع أخرى.[1] إن ما استدعى الاهتمام بهذا هو حضور "التطور الدلالي" بمعية تحقق القرآن المتين. وناصية الحق التي يمتلكها الله في حفظه من تأثيرات التقليد والمناهج المؤثرة. لذا يكتنز جوهر هذا الحفظ بمتانة القوّة والصناعة الربانية. وهذا التطور ليس له صلة بالتطور الصناعي الذي يحدث بيد البشر وفقًا لمتطالباتهم في كافة مناحى الحياة، وكذلك ليست وليدة العصر، ولكنه صناعة لغوية ربانية ظهر بطلوع الرسالة الخالدة.

ثالثا: البناء على مبدأ البناء وليس الانقلاب

يسفر دور الإسلامي الايجابي البنائي في أحكامه وشرائعه وسلوكياته الذي يهدف إلى التوحيد والتعاون بين متجمعات متنوعة ومتلونة التي يرنو الإسلام بها فلسفة الإصلاح في كافة مناحى الحياة. حيث تتطلع الأمة الإسلامية على المشاريع النهضوية التى كانت ومازالت بأمس

[1] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص٤٤.

الحاجة إلى ترقية المجتمع وتقدمه انطلاقًا من مشروع البناء الإصلاحي. فلم يهدم الإسلام كل ما يتعلق بالديانات السابقة والشعوب القديمة، ولم يقض على آثار تراثهم كلها كما طرأ على هذه المعاني بل أنّه ثمر من خلال الحفاظ على المعاني اللغوية الأصلية مع تبديل معاني بعض الألفاظ في حياة اللغة العربية. فلا بد من وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة صغرت أو كبرت بين مدلول اللفظ اللغوي ومدلوله الاصطلاحي. فيغير معنى الألفاظ العامّة ويخصص معناها الدلالية ويقتصر هذا المعنى على حالات خاصة التي شاعت استخدامها فيها كما تغير دلالة كلمة الصلاة في سياق القرآن.[1]

لقد حافظ القرآن الكريم على دوره الإيجابي الإصلاحي في بناء وتطوير المعاني مع حماية البصمات التارخية وآثار اللغة العربية في عهد الجاهلية. ولهذا كله أنّ مشروع القرآن في مسألة التطور الدلالي مشروع إصلاحي يهدف البناء على المقدمات الأولى، وليس حركة انقلابية تهدف ناهيك عن فهم التاريخ، كما أن القرآن يشهد التاريخ ووصّل حاضره بماضيه في شتّى الأقسام اللغوية والتارخية والاجتماعية. انطلاقًا من هذا السياق أنّ القرآن قد خلق حركة صارمة ومشروع إصلاحي باستخدام أسلوبه المتميز.

واصل القرآن العظيم لغته العربية وهيمنتها من ناحية التطور الدلالي على اعتباره أنه أتى بألفاظ استجدت معانيها عند ظهور الإسلام. وبهذه العملية التطورية الدلالية أكدّ الإسلام سيطرته على اللغة العربية بمجيئه بالدلالات المستجدة والمعاني الإسلامية التي لم يعهدها من قبل. وبهذا

[1] هلال، عبد الغفار، علم اللغة بين القديم والحديث، ص٣١٩.

المشروع المبتكر تجلت سيادته من خلال اللغة العربية وهذا من جهة؛ ومن جهة أخرى أيّد نسبته إلى لسان عربي مبين من خلال المحافظة على معانيه الأصلية المعجمية التي تحمل سمات لغتهم ومجتمعهم. وتجلى أيضًا دور القرآن الكريم وفضله على اللغة العربية في توطيدها وتقويتها من ناحية إبداع المعاني الجديدة، وتوسيع دائرتها المعرفية واتساع أغراضها التعبيرية، ومدى سلطانها على سطح الأرض بانتشار الإسلام. ومع انتشار صدى الدين في أرجاء المعمورة دخلت صوت العربية وجرسها إلى لغات أقوام غير العرب.[1]

[1] جربي، عبد اهلل عبد الناصر، لهجات العرب في القرآن الكريم – دراسة تحليلية، ص ٧٠٢.

الخاتمة:

يختتم هذا البحث الذي حاول أن يطرح مسألة التطور الدلالي لحظة نزول القرآن الكريم بطريقة موجزة مختصرة وأقرب أن تكون وافية من ناحية إصابتها للتتبع التاريخي للكيف التطوري في اللغة العربية من ناحية أطوارها الدلالية المتسعة ضمن المعاجم اللغوية القديمة والكتب التي تناولتها، وقد اقتصرت مساحة الدراسة على كتب اللغة لاهتمام اللغويين بها، لأنّها دراسة تعتمد على جهودهم القديمة. وتسعى هذه الدراسة من خلال كتابتها إلى تجسير المعاني الأصلية المعجمية بالمعاني التي استجدت بعد الوحي. وكذلك تسفر الدراسة في الكشف عن جهود اللغويين القدامى في عنصر التطور الدلالي وعلى رأسهم الزبيدي في تاجه العروس، حيث وقف على علم الدلالة وما يتعلق بمسألة التطور اللغوي الذي طرأ على المعاني، ويعرض للكلمة بعدًا تاريخًا لغويًا مع عرضه المعنى الشرعي، وكتابه من ناحية سمات التطور الدلالي مليء ومكنوزٌ بلطائف وإشارات.

لقد بُحثت هذه المسألة من جوانب عدّة إلاّ لم يتطرق إليها أحد من الناحية الفلسفية التي تمركزت على تأصيل المعاني كمعطيات أصلية، إذ لم تحدث هذه الحركة التطورية في الإسلام صدفة، بل حدثت مع السعي إلى بعض الأهداف والمقاصد التي تهدف تحقيقها. ومن أهمّها:

- يسعى إلى خلق لغة الدين بما يسمى اللغة الاصطلاحية بين مخاطبيها لتسهيل التفاهم بينهم والحثّ على المفاهيم الإسلامية لتوطيد استخدامها ولترسيخ دلالاتها عند المسلمين.

- يهدف إلى صناعة الجسر التواصلي بين القديم والحديث في فهم معاني القرآن الكريم، لذا يثمر جهود التطور الدلالي الذي طرأ على المعاني في المحافظة على سمات اللغة العربية ومعاني كلماتها التي توضع عليها في أول وهلة.

- إنّ تطوير المعاني للمصطلحات الإسلامية القرآنية لم يكن حركة إنقلابية تقضي على المعاني الأصلية المعجمية، بل كان مشروعًا إصلاحيًا يهدف البناء متمركزًا على المعانى اللغوية الأصلية.

- يتجلى فضل القرآن الكريم وأثره على اللغة العربية في توطيد سلطنتها من خلال اتساع معانيها واستجداد دلالتها الشرعية التي لم تعهدها أهلها من قبل.

<u>اقتراحات وتوصيات</u>

- أقترح تدريس مؤلفات ابن فارس من حيث التطور الدلالي حيث قد يعدّ من الأوائل الذين يساهمون في إبراز أهمّية هذه المسألة وفضلها في تفسير القرآن الكريم مما أشار إليه في صاحبيه تحت باب الأسباب الإسلامية، وله تأثير هائل على المهتمين بهذا الموضوع.

- أوصي البحث عن هذه المسألة عند الزبيدي بدراسة مستفيضة علمية، إذ يفصل معاني الكلمات في تاجه العروس مع الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وفقًا للمعنى الاصطلاحي، لاستنباط سمات التطور الدلالي وأهدافه في ضوء آرائه فيه.

(وما توفيقي إلاّ بالله)

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين (١٤١٤هـ) *لسان العرب*، دار صادر، ط٣، بيروت.
- أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (١٩٩٧) *الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها*، الناشر: محمد علي بيضون، ط١.
- أبو عودة، عودة خليل (١٩٨٥) *التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم دراسة دلالية مقارنة*، مكتبة المنار، ط١، الأردن.
- *إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد*(٢٠٠٨) الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف.
- الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (١٤١٢ هـ) *المفردات في غريب القرآن*، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، ط١، دمشق بيروت.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله(١٤٢٢هـ) *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه =صحيح البخاري*، (تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر) ط١.
- التوقادي، مصطفى صبري (١٩٣٢) *مسألة ترجمة القرآن*، الطبعة السلفية، القاهرة.

• الجبوري، حنان منصور كاظم(٢٠٠٥) *التطور الدلالي للألفاظ في النصّ القرآني دراسة بلاغية*، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربوية (ابن رشد)، قسم اللغة العربية.

• جربي، عبد اهلل عبد الناصر(٢٠٠٧) *لهجات العرب في القرآن الكريم – دراسة تحليلية*، دار الكتب العلمية، ط١، لبنان.

• الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (١٩٨٣) *كتاب التعريفات*، (تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر) دار الكتب العلمية، ط١، بيروت –لبنان.

• حجازي، محمود فهمي(١٩٩٣) *الأسس اللغوية لعلم المصطلح*، دار غريب للطباعة، القاهرة.

• الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني،(بدون تاريخ) *تاج العروس من جواهر القاموس*، (تحقيق:مجموعة من المحققين) دار الهداية.

• الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (١٤٢٠ هـ) *جامع البيان في تأويل القرآن*،المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١.

• العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين (بدون تاريخ)، *عمدة القاري شرح صحيح البخاري*، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

• فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب (١٤٢٠هـ) *مفاتيح الغيب*، دار إحياء التراث العربي، ، ط٣، بيروت.

• الفراهيدي ،أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (بدون تاريخ) *كتاب العين*، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

• القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن(بدون تاريخ) *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم*، (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي) دار إحياء التراث العربي – بيروت.

• المبارك، محمد، (١٩٦٤) *فقه اللغة وخصائص العربية*، دار الفكر، دمشق..

• مكرم، عبد العال سالم(١٤١٧هـ) *المشترك اللفظي في الحقل القرآني*، موسسة الرسالة، ط١، بيروت.

• هلال، عبد الغفار(٢٠٠٢) *علم اللغة بين القديم والحديث*، ط٤.

Pluri Dictionnaire Larousse, Dictionnaire Encyclopédique, Librairie Larousse, Paris, 1977.

مؤتمر
كلية
الدراسات
الإسلامية